المعقول بعلم اليقين وعلم الرأي بعلم السنة ويثبتون أهل الآثار ويزرون بقلة الأخبار
بما يعقلون من أخبارهم ويفسرون من عند أنفسهم ما لو جعل للنقلة لم يأت إليه ولم يجيزوا
الرواية إلى كشف معنى ما استأثر الله واستتر عنهم ويتزايد به قلوبهم ونطقهم الرواية
بهم ينطقون عن الله سبحانه فيما يخبرون عنه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. وجعلنا
منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون وقد قال بعض العلماء ما
تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وما سكت عنه السلف فالكلام فيه
تكلف وقال آخر الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى
وقال علي عليه السلام عليكم بالنمط الأوسط الذي يرجع إليه الغالي و
يرتفع عنه الغالي وما أحرى الناس أيضا الرد على المبتدعة بعلم الرأي والمعقول
وقد كان هذا فيما سلف بدعة وكان المتكلمون به مبتدعة فقد صار روايح زماننا
هذا علما وجعل الجهال أصحاب المنطق علماء ولم يكن من سيرة القدماء الرد على
المبتدعين إلا بالسنن والآثار لا بعلم الكلام والقياس والنظر والجدال فيقبل العبد
الجهال بما يهوى أن مثلا نصنف كتابا بالرد فيه على المبتدعة فقال أما بين يديك ما في الكتاب
والسنة قال لا ولكن بعقول العقول والنظر فقال أخطأت السنة ورددت بدعة ببدعة
وكان من سنة السلف أن لا يستمع إلى مبتدع لأنه منكر ولا يرد عليه بالجدال والنظر
لأنه بدعة ولكن يخبر بالسنة ويحتج بالأثر فإن قبل فهو أخوك وحبيب عليك به
فإلا فإنه وإن زاد وأبكى عد بدعة وخبث عداوته وهذا أمر لا ينبغي لا يسلكه في
وقتنا هذا إلا من عرف فضله وطريقة السلف فيه حديث عن إبليس لعنه الله
أنه بث جنوده في وقت الصحابة فرجعوا إليه محسورين فقال ما شأنكم قالوا
ما رأينا مثل هذا القوم ما نصيب منهم شيئا قد أتعبونا فقال إنكم لا تقدروا
عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سيأتي بعدهم قوم تنالون منهم
حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فيهم فرجعوا منكسين فقال
ما شأنكم قالوا ما رأينا أعجب من هؤلاء القوم نصيب منهم الشيء بعد الشيء
من الذنوب فإذا كان من آخر النهار أخذوا في الاستغفار فيبدل سيئاتهم
حسنات فقال إنكم لن تنالوا من هؤلاء شيئا لصحة توحيدهم واتباعهم سنة
نبيهم صلى الله عليه وسلم ولكن سيأتي بعدهم قوم تقر أعينكم بهم تلعبون بهم
لعبا وتقودونهم بأزمة أهوائهم كيف شئتم إن استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون
فيبدل سيئاتهم حسنات قال فجاء قوم بعد القرون الأول فبث فيهم الأهواء وزين
جنوده لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون منها ولا يتوبون
إلى الله تعالى منها قال فسلطنا عليهم الأعداء وقادتهم أين شاء وقد قال ابن
عباس رضي الله عنه إن الضلالة لها حلاوة في قلوب أهلها وقال الله تعالى اتخ

اتخذوا

اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وقال تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ثم قال أفمن
كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه فالعالم رحمه الله هو الذي كان عليه الس
السلف الصالح المقتفي آثارهم والخلف التابعي المقتدي بهديهم وهم الصحابة
أهل السكينة والصالحين التابعون لهم بإحسان من أهل الزهد والتقى والعالم هو
الذي يدعوا الناس لمثل حاله حتى يكونوا مثله فإذا نظروا إليه زهدوا في الدنيا زهدا
ببجلهم كان ذو النون المصري رحمه الله يقول العارف من يكلمك علمه لا من يكلمك لسانه
وقد قال الحسن فيبلغ عظة الناس بفعاله لا بقوله وكان أبو محمد سهل يقول العلم
يستدعي العمل فإن أجابه وإلا ارتحل وقد روينا عن نبينا صلى الله عليه وسلم معنى ذلك
كله أنه قيل له أي جلسائنا خير فقال من ذكركم الله تعالى رؤيته وزاد في علمكم
منطقه وذكركم بالآخرة عمله فأما الذي يطلب الدنيا هم حتى يكونون مثلهم فإذا رأوه
اغتبطوا بحالهم فهذا شر منهم لأنه يدعوا إلى نفسه لا إلى مولاه ولأنه طامع فيهم
وهم زاهدون فيه فالعلماء الذين هم ورثة الأنبياء الورعون في دين الله تعالى الزاهدون
في فضول الدنيا الناطقون بعلم اليقين والقدرة لا علماء الرأي والهوى والصادفون
عن الشهوات والآراء لا يختلف هذا إلى يوم القيامة عند العلماء المشيرين على الله
تعالى بدين فإذا قيل ما قيل ولا يقول فيبطل أهل الجهل كما روى عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله
عليه وسلم صلح أول هذه الأمة بالزهد واليقين ويهلك آخرها بالبخل والأمل وقال
يوسف بن أسباط كتب إلي حذيفة المرعشي والخط بن قد يفتي لا تجد أحدا يذكر
الله تعالى معه إلا كان آثما وكانت مذاكرته معصية وذلك أنه لا يجد أهله قلنا ليوسف
يا أبا محمد وتعرفهم قال أولا يخفون علينا ويقال إن الأبدال انقطعوا في أطراف الأرض
واستتروا عن أعين الجمهور لأنهم لا يطيقون النظر إلى علماء هذا الوقت ولا يصبرون
على استماع كلامهم لأنهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند أنفسهم وعند الجاهلين
علماء فقد صاروا من أهل الجهل والكل الجهل بالجهل على الوصف الذي قال سهل من أعظم
المعاصي الجهل بالجهل والنظر إلى العامة واستماع كلام أهل الغفلة فيهم عندهم لأنهم
لا يعرفون ذلك حينما كانوا من أطراف الأمصار الأرض لأن العامة لا يخوضون في الدين
ولا يعرفون المؤمنين ولا يدعون أنهم علماء لأنهم يتعلمون والجهال لا يعترفون فيهم النبي
الاحتذاء ومن المغتر أبعد وكان أبو محمد أيضا يقول قسوة القلب بالجهل بالعلم أشد من
القسوة بالمعاصي لأن بالعلم تداوم ويرعى والعاصي بالفعل معترف مقر بالعلم ويقول
أيضا العلم دواء به يصلح الأدواء ويجد بزيل بفساده الأعمال النتار داؤه والجهل داء يفسد الأعمال
بعد صلاحها فهو يزيل الحسنات فيجعلها سيئات ومكر بين ما يصلح الفساد وما يفسد
الصالحات وقد قال الله تعالى إن الله لا يصلح عمل المفسدين وقال إن الله لا يضيع أجر
المصلحين فهذا من أدل الدليل على فضل العالم المتقن على العابد المجتهد واعلم أن العبد

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)